

أخبار وأفكار

البيسكومتر

اخترع عالمان من علماء النفس الأستاذ جونج من جامعة زوريخ والأستاذ بترسن من جامعة نيويورك آلة دعواها البيسكومتر الكهربائي أن لم يمكن بها قراءة أفكار من يخضعون للتجربة برضاهم أو بغير رضاهم فلا أقل من الوقوف على حقيقة أقوالهم والآلة مؤلفة من كالفانومتر ومن آلة تقيد تنوع الفكر وظهوره في الكلام وذلك على الوجه الآتي: أ، الكالفانومتر متصل مع مصباح يتزل لهيبه أو يصعد بحسب قوة الجرى الكهربائي ويقاس علو هذا اللهب بمرآة ذات درجات تنعكس عليها فلا جل فحص إنسان توضع يده الوحدة على قطب من الزنك والأخرى على قطب من الفحم ومن ذلك ينشأ مجرى كهربائي يختلف قوته بحسب شدة الحواس النفسية أو الطبيعة التي تجري في خاطر الإنسان الذي يراد اختباره فإذا كذب هذا الرجل كان من اضطراب حركة الدماغ الحادثة من التناقض بين الفكر والإرادة التي تظهر العكس أن يحدث منه مجرى كهربائي يختلف ضعفاً وقوته بعلو اللهب المار ذكره. وقد أثبت التجارب الكثيرة صحة هذا الاختراع الذي هو من أغرب ما سمع.

ألمانيا الاقتصادية

الظاهر أن ليس في العالم أمة كالألمان عرفت طرق الاقتصاد وادخرت وفرها للأيام الشداد وعالجت كل أسباب هذا الباب حتى أعجب بها الأعداء قبل الأحاب. وقد قدر العارفون ثروة الشعب الألماني قبل من ٣٣٠ إلى ٣٩٠ مليار مارك وثروة بريطانيا من ٣٠٠ إلى ٣٦٠ وثروة فرنسا من ٢٦٠ إلى ٢٩٠ ودلت كثرة الوارد على صناديق

التوفير خلال الحرب أيضاً أن ثروة ألمانيا ما برحت في نمو مع أن أصحاب هذه الأموال اشتركوا في إقراض حكومتهم أربعة قروضٍ كبيرةٍ وكانت قيمة القرض الأخير عشرة مليارات وسبعمائة مليون مارك اشترك فيه ٦٤٥، ٢٧٩، ٥ ألمانيا ومع ذلك زاد ما وضعوه في صناديق التوفير عن ٦٦٠ مليون مارك خلال سنةٍ واحدةٍ آخرها سلخ سنة ١٩١٥م.

كانت ألمانيا قبل الحرب تملك ٤٥ مليون رأس من الماشية وفرنسا تملك ٢٠ مليوناً وإنكلترا ١٣ مليوناً وبلغ محصول القمح والجاودار في ألمانيا ١٦٠٨ مليون طن في حين لم يبلغ محصول فرنسا من ذلك أكثر من ١٠ ومحصول إنكلترا ١٠ ٤ مليون وبلغ محصول ألمانيا من البطاطا ٥٤ مليون طن ومحصول فرنسا ١٣ مليوناً وإنكلترا ٦ ملايين.

كان في بنك ألمانيا في أواخر السنة ألفائنة ما قيمته ٥٥ مليون من السندات المستهلكة في حين كان بنك فرنسا ٢٠ ٩١٠ ملايين وفي بنك إنكلترا ٢٠ ١٩٣ ويفهم من ذلك أن ألمانيا قضت الأسابيع الأولى من الحرب دون أن تعتمد إلى تأجيل دفع الديون (موراتوريوم). ويستفاد من الأرباح التي أعطتها الشركات الألمانية لمساهميها مدة هاتين السنتين في الحرب العامة أن ٣٠٠٠ شركة دفعت لمساهميها ٦٠ ٤٨ في المئة سنة ١٩١٤م ودفعت ٨٠ ٣٧ في المئة في السنة التالية هذا مع انقطاع ألمانيا عن أقطار العالم الأخرى.

وكان الدين الذي على إمبراطورية ألمانيا والإمارات المتحدة الألمانية قبل الحرب ٢١ ملياراً وديون بريطانيا العظمى ١٤ مليار مارك ومعظم الدين الذي على حكومة ألمانيا هو ثمن سككها الحديدية التي ابتاعها من الشركات بعشرين مليار مارك فالديون الألمانية يقابلها

ما لألمانيا من الخطوط الحديدية ويضاف إلى هذه ما تملكه من المناجم والأماكن والغابات التي تساوي أربعة مليارات فلألمانيا ملكٌ يساوي ٣٤ ملياراً من الديون لقاء ٢١ ملياراً من الديون على حين ليس لحكومة إنكلترا من الملك سوى ٧٨. مليون مارك وباقي ما عليها أي ١٣ ملياراً و ٦٠٠ مليون مارك ديناً لا مقابل له ومثل ذلك يقال عن فرنسا التي يقل ما تملكه أكثر من ذلك ويصيب الفرد من دين الحكومة في ألمانيا ٣١٢ ماركاً وفي إنكلترا ٣١٣ وفي فرنسا ٦٦٤٠ وقد أنفقت حكومات أواسط أوروبا على تسليحها من سنة ١٩٠٥ إلى ١٩١٤ م، ٨١ ملياراً وكانت نفقات حكومات الوفاق ٤٢ مليار مارك ويصيب من هذه النفقات كل فرد في ألمانيا ٢٢٠ مارك وفي النمسا ١١١ وفي إنكلترا ٥٠.٣ وفي فرنسا ٢٥٩ وعلى هذه النسبة كانت نفقات الحرب ويؤخذ من المجلة الاقتصادية الإنكليزية أن حكومات أوروبا الوسطى يصيبها ٣٥ في المئة من المئة نفقات الحرب ويصيب حكومات الاتفاق ٦١ في المئة فتتفق كل يوم حكومات أوروبا الوسطى كل يوم ١٢ مليون مارك ويتفق خصومها ٢٤٥ مليوناً وقد زاد سعر القطع في الاقتراض في جميع الممالك وهو في ألمانيا أقل منه في غيرها فارتفع فيها من ٣٠ ٩٠ في المئة إلى ٥٥٠٠ في المئة وفي فرنسا من ٣٦٠ إلى ٥٧٥ وفي إنكلترا من ٣٣ ٣٠ إلى ٢١ ٥٠ فالزيادة في ألمانيا ٣. في المئة وفي فرنسا ٦٠ وفي إنكلترا ٥٧ وزاد تداول أوراق المصارف فكان في أواخر سنة ١٩١٥ في ألمانيا نحو ستة مليارات ورقة في حين كان لفرنسا منها ١١ مليار ورقة وأكبر دليل على قوة الحياة الاقتصادية في ألمانيا أن المودعات في المصارف الألمانية زادت عشرة في المئة على حين نقصت في فرنسا ٢٨ في المئة. وسعر القطع كان في ألمانيا قبل الحرب أرقى من غيرها فأصبح الآن خمسة مثل سائر الممالك أما سعر القطع

الخاص فهو الآن أقل مما في إنكلترا مما لم يعهد إلى هذا اليوم. وأكبر دليل على وفرة المال في ألمانيا أن المصارف لا تعطي من ألقاض عن المال المودع عندها أكثر من ١٠ ٥ بالمئة وتدفع مصارف إنكلترا ٣٠٥ في المئة

وهذا من الأدلة الناصعة على ارتقاء القوة في ألمانيا ويدل أنها أرقى من خصومها في الاقتصاد والمالية فقد أبانت الحرب الحاضرة أن ألمانيا أول دولة في العالم وأخذ علماءها يعنون ببيان أن المدنية الألمانية أرقى من كل خصومها وقد نشر أحدهم مؤخراً في كتاب له أرقاماً هي أصدق شاهد على تقدم ألمانيا على فرنسا وإنكلترا فتبين أن ألمانيا أصدرت سنة ١٩١٣ م - ٣٤ ألف كتاب وإنكلترا أصدرت تلك السنة ٢١ ألفاً وفرنسا ٩ آلاف وأن ألمانيا تنفق على مدارسها ٨٧٨ مليون مارك وإنكلترا ٣٨٤ مليوناً وفرنسا ٢٠ مليوناً وأن الألمان أحرزوا من جوائز نوبل مكافأة لأبحاثهم العلمية ١٤ جائزة وإنكلترا ٣ وفرنسا ٣ وأن نفوس ألمانيا زادت في تلك السنة ٨٢ ألفاً وإنكلترا ١٣٤ وفرنسا ٢٠ ألفاً وأن محصول ألمانيا من الحنطة ٢٥ مليون طن وإنكلترا ١٦ وأن لألمانيا ٥١ مركز بريد وإنكلترا ٢٤ وفرنسا ١٤ ولها ١٣١٥ مركز تلفون وإنكلترا ٧٣٣ وفرنسا ٣. ٤ وتجارها الخارجية عدا المستعمرات ١٠ مليارات مارك وإنكلترا ٦ وفرنسا ٤ وثروة الشعب الألماني ٣٧٥ مليار مارك والإنكليزي ٣٤٥ والفرنساوي ٢٤٥ فألمانيا أرقى في معظم ما تقدم ضعفين من إنكلترا وفرنسا معاً .

وإليك أيضاً أرقاماً أخرى تدل على ارتقائها في سلم الحضارة أكثر من خصميتها ففي كل ١٠٠٠٠٠ جندي ألماني اثنان وفي كل ١٠٠٠٠٠ انكليزي ١٠٠ وفي كل ١٠٠٠٠٠ فرنساوي ٣٢. ويصيب ألفرد في ألمانيا من ديون الحكومة ٣١٠ ماركات

وفي إنكلترا ٣٢٣ وفي فرنسا ٦٥٧ ويدفع ألفرد من الضرائب في الأولى ٤. ماركا وفي الثانية ٧٣ وفي الثالثة ٨. ونفقة الأولى على الجيش والأسطول ٢١٠ و٨٦ والثانية ٣٣٠ و٥٠ والثالثة ٦٧٠ ٢٩.

ومن الغريب أن ألمانيا لم تؤثر الحرب فيها كما أثرت في غيرها وأن ما أنفقته حكومتها على إعداد الأساطيل والجيش تسرّب إلى خزائن رعاياها فقد قال الدكتور هلفريش الأخصائي المشهور أن أكثر من نصف ما أنفقته تلك الدولة تحول إلى ريع للمستثمرين والمتعهدين في حين ترى سائر الدول المحاربة لم يكد يبقى لها ولرعاياها مما أنفقت سوى الربع على أكثر تعديل فأنفقت ألمانيا في السنتين نحو ٢٠ - ٢٥ مليار مارك والنمسا وانجر ١٠ - ١٢ ملياراً وإنكلترا ٤. وفرنسا ٢٥ وروسيا ٣. ففقدت ألمانيا من مجموع ثروتها نحو ٦ في المئة وإنكلترا أكثر من الضعف وقد قدر أحد رجال ألمانيا أن أمتة يقتضي لها ثلاث أو أربع سنين بعد الحرب لتستعيد مكانتها الاقتصادية على شرط أن لا يحسب في باب النفقات إلا ما أنفقته مباشرة على الحرب. وقال أن ثروتها تريد عشرة مليارات في العادة كل سنة منها ثمانية مليارات إلى ثمانية ونصف قيمة عمل وإذا قلت الزيادة بعد الحرب قليلاً فثلاث أو أربع سنين تكفي وأن ما يبهظ العوائق في ألمانيا من الضرائب مدة الحرب يتزل بعدها فتتعدل الحالة الاقتصادية

هذه حقائق تشهد شهادة صادقة بارتقاء حليفتنا ومن أعد للمستقبل مثل هذه العدة المالية يستحيل على جيوشه أن تغلب وعلى خزائنه أن تنضب ومثل هذه القوى المادية إذا وقفت إلى إيجادها أمة لا تحارب حولين فقط بل عشرات من السنين.

الجرائم والحرب

كتب الغربيون كثيراً في الدواعي والبواعث على الإخلال بالأمن والقتل والانتحار وقام أناس يدعون في العهد الأخير أن الحرب من العوامل التي تساعد على كثرة الجرائم بالواسطة لأنها تحسن حالة الاستكثار من التسليح وهو على ما يزعمون سبب معظم الشرور التي يقاسي منها المجتمع وخصوصاً في كثرة الجرائم وزعموا أن التسليح العام سبب عظيم من أسباب الانحلال الطبيعي والأدبي. وهذا القول يصح على إطلاقه بالنظر للفرنسيين واليطاليين مثلاً حيث يضعف الوازع الديني وتطلق للنفس حريتها المطلقة ولا يصح على النمسا والمجر وألمانيا حيث تجد للآداب الدينية والمدنية شأنها ذلك لأن ضابط هاتين الأمتين الأخيرتين يتعلمون تعليماً يتمكنون به من إحسان الخدمة زمن السلم وزمن الحرب وهم للمجتمع هناك مادة قوة لا سبب ضعف أما الجنود فإن التدقيق في نظامهم وتدريبهم في الشكن يؤثر فيهم تأثيراً أخلاقياً مهماً. وكثير من أهل الدعارة قضوا خدمتهم الجنديّة فلما عادوا إلى قراهم كانوا مثال حسن السلوك وذلك لأنهم النظام وهذا أكبر أعداء الجرائم. ولذا فإن قوانين بعض البلاد تقضي بأن لا يجعل الجرم الصغير في دار الإصلاح إلى ما بعد الحادية والعشرين من عمره فينقل إذ ذاك إلى الشكنة لأنّ الملحوظ أنّها تطهره بنظامها وتوفي ما عجزت عنه الحبوس ودور الإصلاح للنفس فالجنديّة إذا هي من العوامل التي تؤثر تأثيراً حسناً في تقليل الجرائم وليست عاملاً من عواملها ولا سبيل إلى الدفاع عن دولة والاحتفاظ بمصالح الجماعة إلا بقوة السلاح.

منذ قرون بل على عهد نابليون كانت الجيوش مؤلفة من حثالة من النصوص ومن أناس لا خلاق لهم بحيث لا يستغرب أن الناس يخشونهم كما يخشون قطاع الطرق أرباب

الشقاوة وكانت فرنسا إلى القرن السابع عشر تتخذ حتى الحامية الملوكية من الدّعار بحيث كان الجند مصيبة على الأمة كما قال بعض مؤرخيهم

وإذا نظرنا إلى حرب النمسا وبروسيا سنة ١٨٦٦ وحرب ألمانيا وفرنسا سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ نجد كما قال بعضهم أن عدد الجرائم والجنايات في الحُر سنة ١٨٦٦ ٣٦٦٣ وعدد الجَنح ٩٥٨٣ أي أقل مما كان في السنين التي سلفت. فارتكبت سنة ١٨٦٥ - ٢٨٦٤ اعتداء على الآداب وفي سنة ١٨٦٦ كان عدد هذا النوع ٢٥٨٨ وسنة ١٨٦٧ - ٢٧٣٢ وارتكبت سنة ١٨٦٥ - ٥٩٦ جناية قتل وسنة ١٨٦٥ - ٥٣٩ وسنة ١٨٦٧ - ٦١٨ وارتكبت سنة ١٨٦٥ - ٤٤٠١٦٢ سرقة وسنة ١٨٦٦ - ٤٣٠ ٥٧٥ وسنة ١٨٦٧ = ٤١٠٧١٧ وجميع الجرائم والجَنح تقل زمن الحرب ولكن تزيد زمن الحرب جرائم أخرى مثل جرائم تناول الملوك بسوء أو تفوهات ردينه كما جرائم سك النقود زادت الجَنح في السّنة التّالية لسنة حرب ألمانيا=فرنسا زيادة مهمّة. وأهمّ الأسباب المؤثرة مباشرة في تقليل الجرائم مدّة الحرب هو أن عناصر الشعب التي تجترح الجرائم تكون في ساحة الحرب مشغولة فقد جيّشت ألمانيا في حرب السّبعين مليوناً ومائتي ألف جندي فخف بذلك عدد المجرمين ولكن زاد عدد المجرّمات وذلك لأنّ النّساء بقين بدون معين خلال الحرب ودفعتهنّ ألفاقة إلى ارتكاب اخطورات .

الحرب تؤثر في أخلاق الشعب المخارب وعقل سكّانه المدنيّين فتحدث فيهم حماسة من شأنها أن تحمي الأفراد من العوامل الدّافعة إلى الجرائم ويقلّ ارتكاب الشرّ في الإنسان. ومتى زاد الفحش في أمة تشد الحاجة إلى عاصفة مطهّرة تشد إلى حرب تخلص النفوس

من شقوقها وقد أثبت علماء الإحصاء في ألمانيا أن هذا الانقلاب في الأخلاق مع الفكر المتحد والحماسة الوطنية التي ولدها حروب الألمان هي أيضاً من أسباب قلة الجرائم.

وهناك سبب ثالث غير هذين العاملين الطبيعي والأزلي وهو أن الأفراد قد لا يشكون زمن الحرب في المسائل الطفيفة والحكومات تكون أوسع صدرًا في هذا الشأن فلا الصغائر فيقل الضرب على يديّ الجرمين حتى يظنّ الناس أن الجرائم قلت أكثر مما هي في الحقيقة. والجرائم أيام الحرب تختلف باختلاف طبيعتها ومهما كان الشعب راغباً في إشهار الحرب فإنّ من الناس من يحملون تبعه ذلك على ملك البلاد فيطيعون فيه ألسنتهم ولذلك يحكم عليهم بأحكام إهانة الملوك وجرائم الإفلاس تزيد زمن الحرب لاشتداد الأزمة الماليّة. والجنايات بعد الحرب وأنّ لم تطل أيامها تكون أكثر لوقوف دولاب الصناعة بقلّة المال وقلة اليد العاملة وإذا يهلك كثير في الحرب ومنهم من تقعد به جراحته عن العمل فيزيد شقاء العائلات ويختلّ نظام البيوت وبذلك تزيد جنايات الانتحار كما قال ستارك. وزيد عقبى الحرب الاعتداء على الأفراد لأنّ عدداً كبيراً من الجنود يعودون إلى الحياة المدنيّة وقد فقدوا شعور احترام الحياة الإنسانيّة والملكيّة أو قلّ هذا الشعور وهذا ما يحقّ به قول من يقول أن فكرة الحرب لا تشبع بغير الذهب والدم.

ومما لا ينكر أن الدور الذي يعقب الحرب يحمل في مطاويه القرم إلى السقن والتخريب لا المتسامح فيه بل الخرض عليه من الرؤساء. وهذه الأهواء التي تعمل عملها بالإغواء والقدوة يحاول المجتمع والممالك المتحاربة أن يؤجّجوا نيرانها بكلّ ما لديهم من الذرائع تغرس في النفوس أصولاً يصعب اقتلاعها في الحال وتظلّ تنسو حتى إذا مدّ السلام رواقه لم تعد حاجة إليها فوجب استئصالها أو منعها من التّماء.

وهنا واجبات سياسية اجتماعية يجب علينا زمن الحرب وبعده أن نأخذ بمحظ منها وهو أنه وهو أنه يجب على الحكومة واجتماع أن يجتهدا في القضاء على الشقاء والأمراض التي أحدثتها الحرب وأن يقوي في غضون الحرب في جميع طبقات الشعب الاعتقاد بالظفر النهائي وأنا على حق فيما نحارب لأجله وأن نثلم من النفوس بعد الحرب وحشيتها وقسوها وذلك بوساطة الصحافة والتشيل والمحاضرات العامة .

الألعاب الرياضية

كتب الدكتور ماكس نودرو العالم الإسرائيلي الألماني الكبير مقالة في إحدى المجلات الإفريقية في الرياضات والألعاب الرياضية قال ما تعريه:

لقد دعي عصرنا حتى الآن بجميع الأسماء المسكنة فسني عصر الطفل وعصر المرأة وعصر الطيران وعصر السرعة. وإذا قلنا عصر الرياضات كانت هذه التسمية من أصح التسميات. كانت الألعاب الرياضية بالإنكليز جسمها واسمها أما اليوم فقد أصبحت المسألة الكبرى بل هذه جميع الشعوب الممدنة ولها المقام الأول في خطط قذيب الشبية والمرأة فهي في نظر الجيل الراقي تنوب مناب جميع الكماليات التقليدية والأخلاقية والجمالية والاجتماعية فتم لها الحكومات فتبدل لها من العناية الإدارية مثل ما تبدل لمسائل الخراج والجيش. لا جرم أن الوقت قد كاد يحين لتنشئ فيه كل حكومة منظمة وزارة الرياضات فإن الاستعداد للقيام بالألعاب الأولمبية الدولية يجري على أتمه في كل مكان كما يجري الاستعداد لحملة. وكل ظفر يحوز في هذه الألعاب يصبح علامة محد وطني وكل انكسار يتحوّل إلى ذلة ينال شرّها شعباً برأسه. ويظهر الجمهور أهم الصحف وأكبر عناوينها الخاصة بالألعاب الرياضية من يوم إلى آخر وقد لا تشبع هذه الحال

فيسيل إلى الحصول على صحف لا يتحدث في الأمور التافهة كالسياسة الداخلية والخارجية والاقتصاد السياسي والآداب والفنون والتشيل وأن لا تنشر له إلّا ما ينفعه حقيقة وأعني بذلك الرياضات وأن الصحف المستقلة التي تعني بالبحث في الألعاب الرياضية قد كثرت في كل مكان وكثرة المطبوع منها يدل على مبلغ الحاجة العامة التي تبيدها لممارسة الألعاب الرياضية تاريخ قديم في إنكلترا فهو أحد المظاهر المهمة يتبع الطبقات الاجتماعية الشعب الإنكليزي فقد أخذ الفاتحون الرومانيون على أنفسهم حكم جمهور السلتين الإنكليز السكسونيين فمن غلبوا على أمرهم وحرّموا من حقوقهم فألفوا طبقة خاصة يدخل فيها غيرهم إذا كان يستحق أن يعدّ في جملتهم وهذه الطبقة معينة والألعاب وعلامة لأهل تلك الطبقة.

الألعاب الرياضية تستلزم صرف الوقت والمال والقوة والخدمة والعناء والصبر وتستدعي فراغاً وسعة مادية وقوة طبيعية وصفات من الأخلاق في قوة الإرادة والثبات ومجموع هذه الصفات العالية يتألف منها تعريف الارستقراطية. وقد اكتفت بعض طبقات من ألتاحين بتملك الثروة ونيل الامتيازات السياسية والاجتماعية. فالبذخ والتعيم هما اللذان تأثت بهما أمة الوزير غوت في إسبانيا ففسدت وكذلك شأن النومباردين في إيطاليا الشمالية والمغزل والتتار في روسيا والمنشور في الصين. ذلك إلى اليوم الذي قضى فيه عليهم انحلالهم وقلة مضائهم وكان ذلك من دواعي حمل العامة عليهم لإخراجهم من مراكزهم الممتازة ودوسهم في الأرض. وكان الدينيسركيون والترويجيون الذين أصبحوا نورمانديين فمن يؤلفون الارستقراطية ألتاحة في إنكلترا على جانب من المكانة والذكاء وبعد النظر فأرادوا أن يبقوا شجعاناً بحسب الطبيعة وأن يكونوا أشد قوة لا من حيث

القانون فقط بل كانوا يرغبون بأن يكون كل واحد منهم في كل مكان وفي كل ساعة قادراً أن يظهر بقوة زنده حقيقة استعلائه وتقدمه على كل من يجرا على أن يشك فيه أو ينكر عليه تقدمه ولذا كانوا يذهبون إلى أن هناك واسطتين لحفظ القوة العضلية وزيادتها فهم أمّا أن يقوموا على الدوام بأعمال جسدية عظيمة وأن يعملوا إلى الألعاب الأولمبية الحاوية على المشاهد والملاهي والدقة ولم يكونوا يعملون أعمالاً هي من شأن العمالة وعدوا إلى استخدام الألعاب الرياضية التي كانت علامة مميزة لطبقهم.

وقد أرى في هذا الباب كما يجري في كل مكان للمجتمعات الأولية التي تضع بصنعها خطة تتبعها الطبقات الأخرى في الأمة فإن الرياضيات كانت بادئ بدء امتيازاً بل علامة للإشراف فغدت من أكثر ما تعنى به الأمة. وبديهي أن الرجل المنور يقوم على أحسن ما يكون بنوع من الألعاب الرياضية على الأقل. وأنتك لترى في الكتاب الذي وضع للتعريف بكل إنسان ذي مكانة في المجتمع واسم مشتهر بين الناس في جملة التفصيلات المعتادة عنه إشارة إلى نوع الرياضة الذي يميل إليه والمترجم له يرى أن ذكر المرء وما يرتاض به هو من الجوهريات مثل مكان الولادة وتاريخها وإيراد سلسلة نسبة وحالة أسرته ودروسه المدرسية ومركزه وألقاب تشريفه وأعماله التي رفعت.

ولما سئلت للنموة الأولى أن أجيب على تسجيل في هذا الكتاب ليرجع إليه عراي الخجل أن أترك عنوان المثلد له من الرياضيات فكتبت بحسارة: المسابقة (لعب السيف والقرس) والعموم وإن لم يبلغ مبلغاً من المهارة فيهما يصح أن يذكر وإن كت منذ سنين ممتعاً عن هاتين الرياضيتين ويا للأسف ولم أستطع أن أصرف فيهما وقت قصير جداً وأنتك لترى القصص الإنكليزية التي تولفها النساء وغيرها من أنواع الأقاصيص يوصف أبطال رجالها

بقوة لطماتهم ولكماتهم وثباتهم وصبرهم في هذه الألعاب وحذقهم في التجديف ولقد ضحك السياح الذين أتوا من أقطار أوروبا إلى إنكلترا من طريقة التعليم العالي في هذه الديار وظهر لهم وهم يهزون أكتافهم أن تربية العضلات هناك مقدمة على التربية العقلية وأن صفوف الدروس كانت فارغة على حين تغص ساحات اللعب بالطلبة وقد امتازت كليتا كمبردج وأكسفورد قبل كل شيء عن المدارس العليا بلعبة الفوتبول والرياضات المائية كالعوم وإن الشبان الذين ينالون ألقاب الأكاديميات كانوا يجعلون لقوة الجسم ميزة على تعلم العلوم .

لا جرم أن إنكلترا تعجب بمن قام فيها من الرجال أمثال داروين وماكسويل والنورد كلفن ورامسي ولكن هؤلاء العظماء لا يعزونها عن رؤيتها أن يكون رجلها في الملاكمة الثقيل الجسم بومبارديه ولس يستحق مؤخرأ في ساحة اللعب في ٧١ ثانية على يد شاب فرنساوي فظ اسمه كارانتيه وعمره تسع عشرة سنة. لا جرم أن إنكلترا كانت تؤثر التخلي برضاها عن اكتشاف علمي نسب إليها تغلب مبارزها الذي كانت غلبته مصيبة وطنية عامة سجلتها كبريات صحف لندرا بمداد الحداد وأشار إلى أن ذلك الانكسار دليل انحطاط الشعب الإنكليزي.

ومع ذلك فإن الرياضيات تكاد لا تكون الآن خاصية من خواص إنكلترا فقد أجازت الخلدجان والبحار وهي الحاكمة المحكمة اليوم في اليوم العالمين وقد اتفق على استحسانها مؤرخو المدينة ورجال الأخلاق والتأقدون والنوويون في العصر ليدلوا على ما في الألعاب الرياضية من ألفرح والبهجة فهي تصفي الأخلاق لأنها تستدعي نظاماً قاسياً وتضطر صاحبها إلى القناعة والعفة وحيث انتشر الولوع بها تراجعت ربتا الخمر والجمال (باخوس

وفينوس) وتأثيرها يضمحل ما يضر بالخلق والخلق فهي تربّي التّوع على السّرعّة والشجاعة والجمال والإنسانية مدينة لها بحيل من الأبطال. وهذا الرّأي الشائع لا يجرأ على مناقضته إلا بعض علماء التربية ممّن يصرّحون بأفكارهم ولا يحاذرون أن يطردوا من حظيرة الخطوة وأن يوصسوا بالارتجاع والجمود .

ليس للرياضيات من الفضائل ما ينسبونه إليها بل هي تستفيد من الخطأ الشائع الذي به يخلطون بين الألعاب الطّبيعيّة والألعاب في الهواء الطلق ولا يراد بلفظ الرياضة البراز ولا الجمناستيك بل للرياضة البدنيّة غايات أخرى ومقدّمات طّبيعيّة فهي تقوم بمؤثّرات أخرى وفي مطاويه عدّة فروقٍ في العواطف بل إنّ الرياضة مع الجمناستيك لعلّ طرفي نقيض فإنّ المتخصّصين للرياضة ينظرون إلى الجمناستيك نظر ازدراء ويرون أنفسهم في ألعابهم مجدّدين وأنّهم صورة الارتقاء والتّوير ويعبرون عن مرامي العصر أما المنصرفون إلى الألعاب الجمناستكيّة فيجيبون على ذلك أنّ جميع النتائج الميسونة التي تدّعي أنّها تحويها الرياضة يحتويها الجمناستيك على حين ليس في هذا كما في ذاك من العوائق .

فالرياضة الجسدية أو الجمناستيك يبحث عن نظام الجسم وعن الكمال العام في قواه وعن قمع مجموع العضلات وعن تربية الإرادة وتنمية الثّقة بالنفس والمصارع المدرّب تدريباً حسناً ينال بدون تعمل من أعماله كلّ ما فيها من النتائج فيبلغ هادئاً آمناً مطمئناً إلى أقصى الحدود التي تستطيع بنوغيها قواه الجسديّة. والرياضة لا تعتمد إلى تربية جميع القوى الطّبيعيّة تربيةً واحدةً وغايتها التّفريق والتّخصيص ولا تستلزم من الجسم إلا حالة واحدة ولكن يجب أن تكون في أرقى مظاهر الكمال. والسّرعّة هي التي تطلب من جميع الرياضات ولا يعدّ من أهل الارتياض في شيء من لا يعجل ويقطف ثمار الظفر في

رياضاته. والمرتاح يحمل طاقته فوق قوتها ولا يسوغ له أن يضعف لا لأجل نفسه بل
ضد غيره. وقد قال شيلر: إن المصارع يتعلم في طي السكوت والمرتاض بين جلبة العالم.
وتقاس قوة المرتاض ضد خصومه ويقام أبداً مع منافسين يحاول أن يتفوق عليهم ولا
يشعر بأدنى سرور في حالة حسنة في ذاتها كانت أخط من غيرها فإذا بلغت به الحال أن
يصل بتكرار العمل أن يكون الأول يجب عليه أن يدافع عن مركزه من التالين له أو أن
يترك الغراك ويعترف بأرجحية غيره عليه ويرضى صاغراً بالتصريح بأنه تجاوز أقصى
درجات قوته وإن الخط المستدير من حياته أخذ بالهبوط. يتأتى أن يكون المرء مصارعاً إلى
سن متقدمة ولا يكون مرتاضاً إلا في أوائل سن الشباب وقوته على لقاءها لم تصب بما
ينقصها. ومن النادر أن يكمل المرء في الصراع بعد الثلاثين من عمره ولا أعلم أحداً في
الأربعينات وفق إلى تعلم السرعة. البراز هو الوساطة التي يبقى بها المرء زمناً طويلاً أما
المرتاض فإن صحته تعجل عليه فتتخيه عن عمله. البراز يمكن أن يكون مشغلاً ومسلاً
لوضع الموازنة بين النشاط الطبيعي والعمل العقلي والإرتياض حاكمٌ حسودٌ لا يسح
لغيره بأن يقف معه. ولكي ينال المرء ما في التبريز في الإرتياض من الشرف يقتضي عليه
أن ينصرف إليه كل الانصراف وإنك لتطلب من محترف بحرفة أكثر مما تتطلب من مولع
بها. والرياضة تستلزم أن تشغل حياة من يطمع في التبريز فيها بأسرها. الإرتياض يضر
بالجمال ويقضي على تناسب الأعضاء بإحداثه خللاً في نظام القوى وانبساط قلب مفرط
إلى جانب هزال مضم. فليس هو بمناسب للصحة بل يؤدي بها إلى الخطر. والمتنافسون في
الإرتياض معرضون لأمراض القلب ولداء الأعصاب وقلما يعثرون طويلاً. الإرتياض لا
ينشئ جنساً قوياً والمرتاح الحقيقي لا يعد شيئاً إذا خرج عن اختصاصه فهو إذا قفز لا

يحسن الجري وإذا رمى بالإطار (الطاردة) لا يُطلب منه عملٌ آخر. ولا عمل له في تحسين الجنس وبكثرة إهناكه لقواه العصبيّة وإفراطه في عمله يكون متوسطاً فيما يتم على يديه أو بانجد والغنى وقد احتفل بالفائزين في سباق الرياضات أكثر مما احتفل بالعلماء الأعلام ولا فائدة منه إلا أنّه يدلّ أنّ المرء يستطيع أن يسير أبرع من حصان السباق وأنّه يجري شوطاً أوسع من شوط الذئب ويقفز أكثر من النسر .

القضاء والعلم

دعا ناظر مدرسة حقوق تلامذة الصّف الآخر من مدرسته وخاطبهم فقال:

إنني مسرور لرؤيتكم مرةً أخرى مجتمعين قبل حصولكم على شهادتكم النهائية ومفارقتكم للمدرسة. لا تتصوروا بعد حصولكم على الشهادة أنّ باب الدرس أقفل فالإنسان لا يستغني أبداً عن المطالعة والدروس وعليه فأنا أميل كثيراً إلى أن تكونوا نادياً أو جمعيةً يكون القصد منها إيجاد مكتبةٍ فيها تطالعون وترجعون إليها في أبحاثكم في المستقبل وبداعي قرب الامتحان ألقتُ نظركم إلى مسألةٍ كثيراً ما تنسوها وتعتقدون أنّ فيها ضياعاً للوقت تلك المسألة هي الراحة والفسحة فأعطوا أنفسكم نصيبها من ذلك إذا أردتم نجاحاً يهتني كثيراً قبل مفارقتكم لنا أن أُملي عليكم بعض الصفات التي يجب أن تتحلّوها في مستقبلكم والتي عليها تتوقّف علوّ منزلتكم واعتباركم بين زملائكم أنّ أول ما أذكركم به عزّة النفس واعتماد الإنسان على نفسه تلك أمورٌ كثيراً ما تدور على الألسن وينصح بها كلّ إنسانٍ غيره ولكن قلّ من يطبقها على نفسه. إنّ ذلّ النفس أمرٌ مردولٌ جداً. فإذا أحاطت بالإنسان أحوال احتياجٍ فعليه أن يسعى بقدر الإمكان في كتمانها وإن يتظاهر أمام الناس بأنّه في غنى وأنّه لا يريد المزيد. تلك صفاتٌ تجعل صاحبها

مهيئاً موقراً في أعين أقرانه فإن كثيراً من الناس يشون الشكوى لغيرهم من سوء حالتهم ويذكرون لهم أموراً متعلقة بأشخاصهم وقد لا يميل المشكوى إليه إلى سماعها مثال ذلك يقول شخص لغيره إني فقير ومحتاج وأريد تسمية ثروتي. فهذا كلام لا لزوم له ولا محصل يجب على الإنسان أن لا يصرح بكل ما في ضميره خصوصاً مما لا يهم الغير. فإذا كان أحدكم في وظيفة فلا يلزمه أن يشكو ويقول أن فلاناً كان معي وكان أقل مني في المرتبة وهو الآن رئيسي. فإن إفشاء مثل هذه الأمور ينقص اعتبار قائلها. الإنسان يسعى ليرتقي ولكن بدون أن يشكو ويبكي

تجول في خاطري مسألة أخرى كثيراً ما يقع فيها معظم الناس وأعني بها التسرع في الغضب وعدم مقدرة الإنسان على كتمان فزعه. حقيقة أن هذه أمور قد يصعب في بعض الأحيان تجنبها ولكن إذا تجنبها الإنسان تجعله مهيئاً مسموع الكلمة يلفت أنظار الناس خصوصاً عندما يرون من هدوئه وسكونه إذا حلّ به أمرٌ يوجب القلق. إن الذين يفعل ما لا تفعله الشدة. خذوا مثلاً بسيطاً. افرض أن عندك خادماً أتى أمراً أوجب سحقك فاهلّت عليه بالشتم فقل أن يفعل زجرك في خادمك فعلاً حسناً وقل أن يهابك ولكن وبخه بطريقة لينة مذكراً إياه أن له حقوقاً وعليه واجبات فإن ذلك يفعل فيه ما لم تفعله جلبتك فضلاً عن أنك تصون نفسك. هذه الصفة العالية شديدة اللزوم في حرفتكم سواء كنتم قضاة أو محامين فيجب على القاضي أو الخامي أن يسعى بقدر الإمكان في كتمان إحساسه ولا يتأثر بسرعة ولا يأخذه انزعاج ولا دهشة حتى يكون حكمه مبنياً على عقله لا على وجدانه. فإذا كان أحدكم محامياً وعامله القاضي بغلظة وبشدة فلا يجب أن يفزع من أول الأمر بل عليه أن يصبر مرةً وأخرى ويدافع عن حقه بدمٍ ساكنٍ

وبذلك يؤثر في نفس القاضي ويزداد هيبةً ووقاراً. ألفت أنظاركم إلى مسألة تتعلق بمعلوماتكم العلمية إني لا أشك في أن مهنة القاضي وإخامي من أشرف الأعمال وأشقها. فكلُّ منهما ليس مختصاً فقط بمعرفة القانون وعندي أنه لو درسه في أوسع موسوعاته لما عدَّ قاضياً خطيراً أو محامياً نحريراً. إن إجادته درس القضايا والحكم فيها لا يحتاج فقط إلى معلومات قانونية بل إلى معلومات طبية وزراعية وهندسية وحسابية. إن القاضي يفصل في نقط قانونية بعد تقدير الموضوع ولكن هذا الأخير يحتاج إلى معلومات كثيراً ما تكون غير قانونية.

أنا لا أطلب أن يكون بيد رجل القانون شهادة في العلوم الأخرى فذلك أمر مستحيل وإنما أطلب منه أن يكون ذلك الرجل الذي يمكنه أن ييدي رأياً في كل شيء ولو إلى درجة محدودة. أطلب منه أن يكون عمومياً فكثيراً ما أهمل القضاة وإخامون ذلك الأمر وعند عرض نقط طبية أو هندسية ينفضون أيديهم ويقولون نحن لسنا أطباء أو مهندسين لنأخذ تقرير الاختصاصي. فذلك ما أمهاكم عنه قد يستعين رجل القانون بتقرير الاختصاصي فلا يجب أن يهمل المسألة ففي يده أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم وهو المسؤول عن حكمه لا الخبير. فيجب عليه أن يبحث بنفسه ويناقش الاختصاصي في رأيه ويطلب منه بيان الأسباب التي أدته إلى تكوين اعتقاده حتى يرتاح ضميره. لا جرم أهلاً يمكنه القيام بذلك إلا إذا كان عنده بعض معلومات بالطب أو الهندسة أو غير ذلك.

يجب على إخامي أن يكون كذلك حتى يصون حقوق موكله ويقوم بالدفاع خير قيام. أستشهد بقضايا كثيرة تحتاج إلى المعلومات العلمية مثل قضايا التتويم المغناطيسي والتسليم وأشير أيضاً إلى قضية حدثت في بلاد الإنكليز كان لها رنة بين رجال القانون.

قضية تضمنت حيثياتها منشأ التلغراف اللاسلكي وتاريخه وتركيبه وكل ما يتعلق به حتى قال بعضهم لما قرأ الحكم: إن القاضي الذي أصدر الحكم كان بلا شك مرافقاً لمخترع هذا الاختراع في جميع أبحاثه. فهذا يبين لكم بأجلى بيان المعلومات التي يجب على القاضي أن يعرفها فلا تحرموا إذا مكاتبكم من كتب متعلقة بتلك الموضوعات حتى تقوموا بحرفتكم أحسن قيام وكونوا في كل أطواركم مهذبين من الرقة والأدب على جانب أي ليكن كل منكم جنتلمان .

مرض المسكرات

ألقى الطبيب مطهر عثمان بيكأحد الأخصائيين في الأمراض العقلية والعصبية محاضرة في مرض السكر أحببت أن أعبها قال:

كان يحظر على طبقة النبلاء في الهند قديماً تناول السكر ومن أقدم على تناوله منهم فإنه يسقط عن مكانته الأولى ولا يحسب في عداد النبلاء. أما الصين اليوم فإنها ذاهبة قرباناً للمسكر وإن أكبر عامل في انحطاط هذه الأمة المؤلفة من مئات الملايين من النفوس هو المسكر وإنه هو الذي جعلها تصل إلى هذه الدركة من التدني وأفقدتها روحها وتركها بها يائسة ومما يؤثر عن أحد امبراطرة الصين أنه قال: إذا دام فتك مرض السكر بهذه الصورة فإنني في شك من بقائنا على تحت السلطنة في المستقبل وقد اتخذوا تدابير كثيرة لوضع حد لتفشي هذا المرض وأثر عن فلاسفتهم مثل قوا وكفوشوس كثير من القول في هذا الصدد ولكن هذه المملكة الهرمة القاطنة في الشرق الأقصى لا تزال سكرى ثملة ولا يزال أهلوها قاطبة يتناولون أقراص الأفيون في منازلهم المتروية بين ثايا تلك الأزقة الضيقة ويقضون كل يوم ساعات كثيرة سكارى لا يعقلون .

تعاطي المسكر لم ينحصر في الهند والصين فقط بل تفشى عند التراك والعرب والعجم وبين كل المم الشرقية غير أنه في دور مبعث صاحب الرسالة عليه السلام أعلنت أكبر حرب على المسكر ونزل كثير من آيات القرآن الكريم المعجزة ورويت أحاديث نبوية جمة بأسلوبها الطيف الوقور ومئاتها وكلها تخطر على من دانوا بالإسلام تعاطي هذا السم القاتل وبسبب هذه الحرب التي أعلنها الدين الإسلامي على المسكرات دخل المسلمون إلى حظيرة من السعادة ولم يجد المسكر بين ظهراهم محيطاً ملائماً ولا مناخاً سهلاً وإن هذه الشدة التي جاء بها الدين الإسلامي إزاء تعاطي المسكر يؤيدها ألفن اليوم ويسعى للقيام بها بكل ما أوتي من قوة

المسكر أحد الأمراض الإنسانية الواجب معالجتها وهو أنواع جمة متعددة ولكننا نستطيع أن نقول بصورة مطلقة أنها كلها مضرّة وأنها تهدم البنية وتنخر الدماغ والعصاب ولها تأثير كبير في الأنسال فإن أكثر المرتطمين في حمأة المسكر لا يلدون وإذا نسلوا ولا بد فيكون ولدهم شخت الخلقة سيء التركيب ضعيف البنية.

المسكر ليس بغذاء يربّي الجسم أو يزيد الدّم أو يبعث القوة ولا يصدق هذا على الإنسان وحده فقط بل على الحيوان أيضاً والتجارب التي أجراها العلماء تؤيد هذه الحقيقة. إن الفراشة التي تعيش متطايرة في حدائق الورد لتسكرها تلك القطرات المترققة على أوراق الأزهار الملوثة المفتحة في فصل الربيع، وإن القردة لتشرب المسكر من يد سقاها بكل لذة وشوق ولا تزال تعوي وراء أولئك السقاة تستعطفهم ليزيدوها من هذا المسكر حتى تصل إلى جدران المدينة، والخليل إذا سقيت المسكر يقوى بها الشبق الشهوة وتعدو كثيراً ولهذا ترى فرسانها يحرسون كل الحرص على سقيها المسكرات قبيل السباق، ولكن هذا

الحيوان المسكين لا يلبث أن يسقط فيما بعد مريضاً، حتى أن الحمر ليمرضها تناول الجرعة الواحدة منه.

يوجد في بلادنا اعتقاد غريب وهو أن المسكر يصلح أن يكون دواءً لبعض الأمراض وهذا بناءً على بعض روايات باطلة يعزونها إلى أطباء اليونان، لا، إن هذا الاعتقاد من الأمراض السارية فالمسكر لم يكن في وقت من الأوقات نافعاً للحياة.

وأعود فأكرر القول بأن المسكر سمّ قاتل لأنه يبيد الحجيرات الدماغية وأنه يأتي إلى العروق وإلى أدق الأعضاء وألطفها فينخرها. يبحث بعضهم عن فائدة تعاطي المسكر بكمية قليلة. وهذا يصلح أن يكون نموذجاً لإغلاط الفكر الإنساني، نعم، إن كل القرايين التي قدّمت من بني الإنسان لهذا السمّ بدأت أولاً تتعاطاه قليلاً قليلاً ثم تمكّن منهم وغدّوا فيما بعد من صرعاة. وإن كل الجنايات والفصائح في العالم كله أثر من آثار المسكر.

في الغرب لا يتناول المسكر إلا الطبقات السفلى من البشر أما عندنا فإن كبار الأسرات تضعه على موائدها بين الأطعمة المغذية وبين مختلف التّقول. وإن هذا الخائن الذي يطرد اليوم من كل الممالك وُجد له بين ظهرانينا مباءة صالحة. وأهم ما يجب عمله على الحكومة بلا شبهة أن تمنع تعاطي المسكر بين موظفيها بصورة قطعية. المسكر لم يكن منذ زمن قريب معروفاً عند الأهنيين وإنما تسرّب إليهم من بعض الأورام المهاجرين من بلاد اليونان للإتجار في بلادنا فإن هؤلاء كانوا السبفي تفشيّه بين شبابنا في عامة الأنحاء فتراه اليوم يباع في الأناضول في كل مدينة وقصبة وقرية ومزرعة ومن المُحقّق أنّه بعد مدّة يصبح دواء هذا الخطر من أعقد المسائل وعليه فينبغي اتّخاذ الأسباب اللازمة من الآن

والتحیل لرد هذا العدو الأزرق الذي یسمّ التسل ویضربه ضربة قاضية لا یقوم منها
أبدًا.

رشدی الحکیم.